أولا

ترجمة ابن الجوزى :

- نسبه وولادته .
- نشأته - وطلبه للعلم - ومحنته فى سبيل الحق .
- شيوخه وتلامذته .
- مؤلفاته .
- منزلته عند الأئمة وبعض أقوالهم فيه .
- وفاته .

أولا :

١ ــ ترجمة ابن الجوزى [1] :

١ ــ نسبه وولادته :

لاخلاف فى أن كنيته أبوالفرج ، ولقبه جمال الدين ، ونسبته إلى الجوزى نسبة إلى أحد أجداده المسمى بجعفر الجوزى ، وقيل:نسبة إلى محلة بالبصرة تسمى محلة الجوز ، أو موضع يقال له فرضة الجوز ، أو إلى جوزة كانت فى داره لم يكن فى واسط جوزة سواها ، وابن الجوزى

(١)تراجع ترجمة ابن الجوزى فى المصادر الآتية :

البداية والنهاية : لابن كثير ٢٨/١٣ ، وفيات الأعيان ٣٢١/٢ ، الذيل على طبقات الحنابلة : لابن رجب الحنبلى ٣٩٩/١ - ٤٢٣ ، تذكرة الحفاظ رقم الترجمة ١٠٩٧ ، الكامل لابن الأثير ١٧١/١٢ ، مفتاح السعادة : لطاش كبرى زاده ١٠٧/١ التكملة لوفيات النقلة : للمنذرى ٢٩١/٢ - ٢٩٣ ، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحفاظ لأبى عبد الله الدبيثى ٢٠٥/٢ - ٢٠٨ ، العبر فى خبر من غبر ٢٩٧/٤ ، وما بعدها ، العسجد المسبوك والجوهر المحبوك فى طبقات الخلفاء والملوك : للملك الأشرف الغسانى ٢٦٨/٢ ، غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ٣٧٥/١ ، عقود=

هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ ــ المؤرخ ، المفسّر اللغوى ، جمال الدين أبو الفرج : عبد الرحمن بن أبى الحسن : على بن محمد بن على بن عبيد الله بن عبد الله بن حمّادَى بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزى ، بن عبد الله بن القاسم بن النضر بن القاسم بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، القرشى ، التميميّ ، البكريّ ، البغداديّ .

ولد فى بغداد « بدرب حبيب » فى سنة (٥٠٥)هـ وقيل سنة (٥٠٩)هـ ، وقبل سنة (٥١٠)هـ والأرجح أنه ولد بعد السنة العاشرة من بداية القرن السادس الهجرى ، فى عهد الخلافة العباسية أيام ضعفها وتفككها .

٢ ــ نشأته ــ وطلبه للعلم ــ ومحنته فى سبيل الحق :

وإذا العناية لاحظتك عيونها نَمْ فالمخاوف كلهن أمان

وهكذا لاحظت العناية الإلٓهية ابن الجوزى،فأخذت بيده حتى تبوأ ذرا المجد،ولقب بعالم العراق وواعظ الآفاق ، وشيخ وقته وإمام عصره . ويكفى أن نعلم بأنه عاش يتيما ، إذ مات أبوه وهو فى الثالثة من عمره ، فتولت أمه تربيته ، ورزق مع أمه عمة فاضلة صالحة متدينة ، وما إن شب عن الطوق حتى حملته عمته إلى خاله أبى الفضل بن ناصر ، وكان عالما فذا فتلقى عنه كثيرا من العلوم وتولى خاله تربيته ورعايته العلمية يقول ابن الجوزى فى كتابه مشيخة ابن الجوزى : حملنى شيخنا ابن ناصر إلى

=الجوهر : لجميل بك العظم ٤٥/٣٩ ، المجددون فى الإسلام : لعبد المتعال الصعيدى ٢٣٢ - ٢٤٠ دائرة المعارف الإسلامية ١٢٥/١ الأعلام : للزركلى ٨٩/٤ - ٩٠ ، معجم المؤلفين لرضا كحالة ١٥٧/٥ ، ١٥٨ - المشيخة للنعال ١٤٠ ، تاريخ ابن الوردى ١١٨/٢ ، مشيخة ابن الجوزى تقديم وتحقيق محمد محفوظ ، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، مؤلفات ابن الجوزى لعبد الحميد العلوجى . إلى غير ذلك من الكتب التى تعرضت لحياته ، رحمه الله رحمة واسعة .

الأشياخ فى الصغر وأسمعنى العوالى ، وأثبت سماعاتى كلها بخطه وأخذ لى إجازات منهم ، فلما فهمت الطلب كنت ألازم من الشيوخ أعلمهم وأوثر من أرباب النقل أفهمهم ، فكانت همتى تجويد العدد لا تكثير العدد[1] ومع أنه ورث عن أبيه ثروة عظيمة جعلته يحيا فى بداية حياته مترفا منعما إلا أنه حين عقل ورشد زهد فى هذا الترف وانكب على العلم وقنع باليسير، يقول : كنت فى زمن الصبا آخذ معى أرغفة يابسة فأخرج فى طلب الحديث ، وأقعد على نهر عيسى ، فلا أقدر على أكلها إلا عند الماء ، فكلما أكلت لقمة شربت عليها شربة وعين همتى لاترى إلا لذة تحصيل العلم »[2] .

ومَنْ رزقه الله محبة العلم ولذته،ورزقه الزهد فى الدنيا،يحيا فى ظلال التقى والعفاف والرضا متخففا من أعراضها وأثقالها ، وتراه على أعظم ما يكون من الهدوء والسكينة والوقار ، ولذلك يقول أبو المظفر سبط ابن الجوزى فى وصفه : إنه كان زاهدا فى الدنيا ، متقللا منها ، وما مازح أحدا قط ولا لعب مع صبى ، ولا أكل من جهة لا يتيقن حلها ، ومازال على ذلك المنهاج إلى أن انتقل إلى رحمة الله ..[3] .

ويقول ابن كثير عنه : وكان ــ وهو صبى ــ ديّنا متجمعا على نفسه ، لايخالط أحدا ، ولا يأكل ما فيه شبهة ، ولايخرج من بيته إلا للجمعة وكان لا يلعب مع الصبيان ..[4] .

وحبه للعزلة أعانه على أن يتفرغ للعبادة والعلم ، وكان يشعر أن فى اعتزاله للناس منافع جمة وخيرا كثيرا يقول فى كتابه : صيد الخاطر :

---

(١) مشيخة ابن الجوزى ص ٥٩ ، والذيل على طبقات الحنابلة ٤٠١/١.
(٢) صيد الخاطر : لابن الجوزى ص ٢٣٥ .
(٣) مرآة الزمان جـ ٨ ص ٤٨٣ وما بعدها .
(٤) البداية والنهاية : لابن كثير ٥٩٧/١٣ .

فليس فى الدنيا..أطيب عيشا من منفرد عن العالم بالعلم ، فهو أنيسه وجليسه ، قد قنع بما سلم به دينه من المباحات الحاصلة ، لا عن تكلف ولا تضييع دين ، واستغنى بالعز عن الذل للدنيا وأهلها ، والتحف بالقناعة باليسير إذا لم يقدر على الكثير ، بهذا الاستعطاف يسلم دينه ودنياه ، واشتغاله بالعلم يدله على الفضائل ويفرجه فى البساتين ، فهو يسلم من الشيطان والسلطان والعوام بالعزلة ، ولكن لايصلح هذا إلا للعالم،فإنه إذا اعتزل الجاهل فاته العلم فتخبط ..(١) .

وليس معنى ذلك أنه كان بعيدا عن الحياة وعما فى عصره من أحداث جسام ، بل إنه كان وثيق الصلة بكل ما يدور به زمانه ، ولذلك يقول فى رده على أدعياء الزهد والمتصوفة الذين دعوا الناس إلى العزلة : فكم فوتت العزلة علما يصلح به أصل الدين ، وكم أوقعت فى بلية هلك بها الدين ، وإنما عزلة العالم عن الشر فحسب .(٢) .

ولهذا نجد ابن الجوزى صاحب مجلس فى الوعظ ، يحضره كبار رجالات الدولة ومئات الآلاف من الناس ، وقد تفوق فى هذا المضمار فلم يلحق به أحد حتى لقد لقب بعالم العراق وواعظ الآفاق ، يقول ابن كثير : تفرد ابن الجوزى بفن الوعظ الذى لم يسبق إليه ولا يلحق شأوه فيه ، وفى طريقته وشكله ، وفى فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه ، وغوصه فى المعانى البديعة ، وتقريبه الأشياء الغريبة بما يشاهد من الأمور الحية،بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك بحيث يجمع المعانى الكثيرة فى الكلمة اليسيرة ..(٣)

وكان رحمه الله لايخاف فى الله لومة لائم ، وكان يوجه نصائحه

---

(١) صيد الخاطر : ٣٧٣ .

(٢) صيد الخاطر/ ١٣٢ .

(٣) البداية والنهاية ١٣/ ٥٩٧ .

للخلفاء والرؤساء لا يمالق ولا يداهن ، وقد التفت مرة وهو يخطب إلى ناحية الخليفة المستضىء العباسى فقال : ياأمير المؤمنين : إن تكلمت خفت منك ، وإن سكت خفت عليك ، وإن قول القائل لك : اتق الله ، خير لك من قوله:أنتم أهل البيت مغفور لكم ، وأضاف قائلا : لقد كان عمر بن الخطاب يقول : إذا بلغنى من عامل ظلم فلم أغيره فأنا الظالم ..[1]

كما أنه وقف فى وجه أهل البدع وقفات عالم شجاع وهو يقول فى ذلك : وظهر أقوام يتكلمون بالبدع ويتعصبون فى المذاهب فأعاننى الله سبحانه وتعالى عليهم وكانت كلمتنا هى العليا ..[2]

وهذا قد جر عليه من المحن والشدائد مالا يتحمله إلا العلماء العاملون .. ولعلنا نذكر هذا المجلس الذى عقده الوزير عبد الله بن يونس بن هبة الله البغدادى وزير الخليفة الناصر ، للنظر فى كتب الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلى التى ملئت بالخرافات والأباطيل والزندقة وعبادة النجوم ، وكان من المبرزين فى مجلس الوزير ابن الجوزى،فأبان ما فى كتب الركن عبد السلام من ضلالات ، فأدى ذلك إلى إحراق هذه الكتب،وانتزاع مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلانى من الركن وتسليمها لابن الجوزى .. وتولى الوزارة ابن القصاب ــ وكان شيعيا متعصبا فسعى إلى القبض على ابن يونس وأصحابه ، وقرب إليه مَنْ على نحلته وكان من هؤلاء : الركن عبد السلام الذى سعى – بكل مايستطيع للإيقاع والانتقام من ابن الجوزى وقال للوزير ابن القصاب :

أين أنت من ابن الجوزى فإنه ناصبى من أولاد أبى بكر ، وهو من أكبر أصحاب ابن يونس ، فكتب ابن القصاب إلى الخليفة الناصر فوجدها

(١) الذيل : لابن رجب ٤٠٩/١ ، وتذكرة الحفاظ للذهبى رقم الترجمة ١٠٩٧ .
(٢) الذيل : لابن رجب ٤٠٣/١ .

الخليفة فرصة للتخلص من هذا العالم الذى كثيرا ما انتقده بشدة وبين مخالفته لشريعة الله ، ولذلك أمر الخليفة بتسليم ابن الجوزى للركن عبد السلام الذى لم يرع فى الشيخ حرمة ولا سِنًّا فجاء إلى دار الشيخ وتسور عليه محرابه،وشتمه وأهانه وختم على داره وشتت عياله،ثم أركبه فى سفينة إلى واسط .. فحبس بها فى بيت وبقى يغسل ثوبه ويطبخ،ودام على ذلك خمس سنين ومادخل فيها حمَّاما،ثم أفرج عنه وعاد إلى « بغداد » سنة خمس وتسعين وخمسائه(١) .

٣ ـــ شيوخه وتلامذته :

تتلمذ ابن الجوزى منذ صغره على شيوخ أفاضل ، وقد رأينا فى « نشأته وطلبه للعلم » كيف حمله خاله أبو الفضل بن ناصر إلى حلقات العلم وحصل له من العلماء على إجازات ، فلما شب هذا التلميذ النجيب عن الطوق،بدأ يختار شيوخه بعناية وكانت همته ـــ كما قال ـــ تجويد العدد لاتكثير العدد ، وقد تحدث عن هؤلاء الشيوخ فى كتاب له يسمى : مشيخة ابن الجوزى(٢)، وقد اختار المشاهير منهم فبلغ عددهم تسعة وثمانين شيخا ، ومن هؤلاء :

١ ـــ أبوبكر محمد بن عبد الباقى ، وكان ثقة فَهِمًا حجة متفننا فى علوم كثيرة ، متفردًا فى علم الفرائض ، وقع فى أيدى الروم أسيرا فأجبروه على أن ينطق بكلمة الكفر ، فلم يفعل ، توفى رحمه الله سنة (٥٣٥)هـ(٣) .

---

(١) الذيل : لابن رجب ٤٢٥/١ - ٤٢٦ ، وتذكرة الحفاظ فى ترجمة ابن الجوزى رقم ١٠٩٨ .

(٢) وهو كتاب مطبوع : تقديم وتحقيق محمد محفوظ .

(٣) انظر مشيخة ابن الجوزى ٦١ - ٦٥

٢ ــ أبو سعد أحمد بن محمد بن الحسن بن على البغدادى ، كان خيرا ثقة وأملى بمكة والمدينة وكان على طريقة السلف ، صحيح العقيدة ، حلو الشمائل مطرح التكلف ، ولد بأصبهان ، ونشأ بها وتوفى بنهاوند سنة (٥٤٠)هـ[١].

٣ ــ أبو الحسن على بن عبد الواحد الدينورى ، وقد سمع منه : الفقه ، والحديث والجدل والخلاف ، والأصول ، وهو من أقدم شيوخه ، وكان يسكن باب البصرة من غربى بغداد ، وتوفى فى جمادى الآخر سنة (٥٥٢)هـ[٢].

٤ ــ أبو الفتح عبد الملك بن أبى القاسم الكرخى قال ابن الجوزى : إنه سمع منه بقراءة شيخه الأول : أبى الفضل بن ناصر عليه ، وكان عبد الملك صالحا صدوقا ، سمع جماعة كثيرة ، وخرج إلى مكة فجاور بها ، وتوفى فى ذى الحجة بعد رحيل الحاج بثلاثة أيام سنة (٥٤٨)هـ[٣].

إلى غير ذلك من الشيوخ الأجلاء والعلماء الأفذاذ .

وقد تتلمذ على ابن الجوزى من طلاب العلم الكثير ، ترى تراجمهم فى كتب التراجم التى ترجمت لرجال القرن السادس والسابع ، ومن هؤلاء :

١ ــ يوسف أبو المظفر الواعظ ، سبط الإمام ابن الجوزى روى عن جده ببغداد ، وسمع بالموصل ودمشق ، وحدث بها وبمصر وأعطى القبول ، وصنف الكتب العديدة ، منها : كتاب مرآة الزمان : فى التاريخ وشرح الجامع الكبير ، وغيرهما ، وتوفى ليلة الثلاثاء الحادى عشر من

---

(١) انظر مشيخة ابن الجوزى ١٠٠ – ١٠٣

(٢) انظر مشيخة ابن الجوزى ٦٦ – ٦٨

(٣) انظر مشيخة ابن الجوزى ٧٠ – ٧٢

شهر ذى الحجة سنة ٦٥٤ هـ [١] .

٢ ــ الحافظ عبد الغنى عبد الواحد بن على بن سرور، ولد فى أرض نابلس سنة ٥٤١ هـ ، سمع الحديث والعلوم فى دمشق والموصل وهمدان والإسكندرية وكان حافظا تقيا ورعا ، وسمع من ابن الجوزى ببغداد ، وألف كتبا عديدة، توفى بمصر سنة (٦٠٠)هـ[٢] .

٣ ــ أحمد بن عبد الدائم بن نعمة ، الكاتب المحدث ، ولد سنة (٥٧٥)هـ فى نابلس ودخل بغداد وسمع بها ابن الجوزى وغيره ، وسمع بدمشق وحران ، وكان حسن الخَلْق والخُلُق ، دَيِّنا ، متواضعا ، وحدث بالكثير بضعا وخمسين سنة ، وكتب مالا يحصى كثرة من الكتب الكبار حتى صار شيخا للأئمة الكبار كالنووى ، وابن دقيق العيد ، وابن تيمية وأمثالهم ، توفى رحمه الله ، سنة (٦٦٨)هـ[٣]

٤ ــ مؤلفاته :

يقول الحافظ الذهبى : ماعلمت أن أحدا من العلماء صنف ما صنف هذا الرجل [٤] ويقول ابن كثير في البداية والنهاية : ابن الجوزى أحد أفراد العلماء برز فى علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره ، ومجموع المصنفات الكبار والصغار له نحو من ثلثمائة مصنف ، وكتب بيده نحوا من مائتى مجلد ، وله فى العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات فى جميع أنواعها: من التفسير، والحديث، والتاريخ، والحساب، والنجوم، والطب، والفقه ، وغير ذلك من اللغة والنحو، وله من المصنفات فى ذلك ما يضيق هذا

---

(١) انظر : تاج التراجم فى طبقات الحنفية ص ٨٣

(٢) انظر : الذيل لابن رجب الحنبلى ٤٢٥/١

(٣) انظر : الذيل لابن رجب الحنبلى ٢٧٨/٢ – ٢٧٩

(٤) تذكرة الحفاظ فى ترجمة ابن الجوزى رقم ١٠٩٨ جـ ٤ ص ١٣٤٢

المكان عن تعدادها وحصر أفرادها ..[1] فأنت ترى أنه ماترك جانبا من جوانب المعرفة إلا وألف فيه كتبا ، مما لايتسع المقام لذكرها فهى تحتاج إلى مؤلف يجمعها ، وقد فعل ذلك الأستاذ / عبد الحميد العلوجي ــ العراقى فى كتابه : مؤلفات ابن الجوزى فذكر منها ما هو مطبوع وما هو مخطوط أو مفقود،وقد بلغ بها أربعة وثمانين ثلثمائة كتاب .

« قال أبو الفرج[2] : أول ما صنفت وألفت ولى من العمر نحو ثلاث عشرة سنة : من ثبت التصانيف المتعلقة بالقرآن وعلومه ، كتاب « المغنى » فى التفسير ، واحد وثمانون جزءا ، كتاب : زاد المسير فى علم التفسير » أربع مجلدات ، كتاب « تيسير البيان فى تفسير القرآن » مجلد ، و« غريب الغريب » جزء ، كتاب « نزهة العيون النواظر فى الوجوه والنظائر » مجلد ، واختصرت من هذا الكتاب كتابا يسمى الوجوه النواضر فى الوجوه والنظائر » مجلدا ، كتاب : الإشارة إلى القراءة المختارة « أربعة أجزاء ، كتاب : تذكرة المنتبه فى عيون المشتبه » جزء ، كتاب : فنون الأفنان فى عيون علوم القرآن » مجلد ، كتاب « ورد الأغصان فى فنون الأفنان » جزء ، كتاب عمدة الراسخ فى معرفة المنسوخ والناسخ ، خمسة أجزاء ، والمصفى بأكف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ » جزء ،و« ثبت التصانيف فى أصول الدين » ، كتاب « منتقد المعتقد » جزء ، كتاب منهاج الوصول إلى علم الأصول : خمسة أجزاء ، كتاب : بيان غفلة القائل لقدم أفعال العباد » جزء ،و« غوامض الإلهيات » جزءو« مسلك العقل » جزء ،و« منهاج أهل الإصابة ، و« السر المصون » مجلد .. إلى آخر ماذكره ابن رجب الحنبلى وغيره من هذه الكتب التى تدل على غزارة علم وصفاء ذهن وإشراق قلب .. فرحمه الله رحمة واسعة .

---

(١) البداية والنهاية ٢٨/١٣

(٢) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٦/١

٥ ـــ منزلته عند الأئمة وبعض أقوالهم فيه :

قال ابن الدبيثى فى ذيله على تاريخ ابن السمعانى : شيخنا الإمام جمال الدين بن الجوزى صاحب التصانيف فى فنون العلم : من التفاسير والفقه والحديث والوعظ والدقائق والتواريخ وغير ذلك ، وإليه انتهت معرفة الحديث وعلومه ، والوقوف على صحيحه من سقيمه ، وله فيه المصنفات من المسانيد والأبواب والرجال ومعرفة ما يحتج به فى أبواب الأحكام والفقه ، وما لايحتج به من الأحاديث الواهية الموضوعة والانقطاع والاتصال ، وله فى الوعظ العبارة الرائقة والإشارات الفائقة والمعانى الرقيقة والاستعارة الرشيقة . وكان من أحسن الناس كلاما وأتمهم نظاما وأعذبهم لسانا وأجودهم بيانا .. وقال الموفق عبد اللطيف : له فى كل علم مشاركة لكنه كان فى التفسير من الأعيان ، وفى الحديث من الحفاظ ، وفى التاريخ من المتوسعين ، ولديه فقه كاف ، وأما السمع الوعظى فله فيه ملكة قوية ، إن ارتجل أجاد ، وإن روى أبدع .

وذكره ابن البزورى فى تاريخه وأطنب فى وصفه وقال : أصبح فى مذهبه إماما يشار إليه ويعقد الخنصر فى وقته عليه ، ودرَّس بعدة مدارس ، وبنى لنفسه مدرسة بدرب دينار ، ووقف عليها كتبه ، وبرع فى العلوم ، وتفرد بالمنثور والمنظوم ، وفاق على أدباء عصره ، وعلا على فضلاء دهره ، وله التصانيف العديدة ، سئل عن عددها ، فقال : زيادة على ثلاثمائة وأربعين مصنفا .

وقال الإمام أبو العباس بن تيمية فى أجوبته المصرية ، كان الشيخ أبو الفرج مفتيا كثير التصنف والتأليف ، وله مصنفات فى أمور كثيرة حتى عددتها فرأيتها أكثر من ألف مصنف ، ورأيت بعد ذلك ما لم أره ، قال : وله من التصانيف فى الحديث وفنونه ما لم يصنف مثله ـــ قد انتفع الناس

به وهو كان من أجود فنونه ، وله فى الوعظ وفنونه ما لم يصنف مثله[1] ا .هـ . ولعل هذه التصانيف الكثيرة هى التى أدت إلى كثرة أغلاطه ، يقول ابن القادسى فى تاريخه بعد أن أثنى عليه : ومع هذا فللناس فيه — رحمه الله — كلام من وجوه : منها : كثرة أغلاطه فى تصانيفه ، وعذره فى هذا واضح ، وهو أنه كان مكثرا من التصانيف ، فيصنف الكتاب ولايعتبره بل يشتغل بغيره ، وربما كتب فى الوقت الواحد فى تصانيف عديدة ، ولولا ذلك لم يجتمع له هذه المصنفات الكثيرة ، ومع هذا فكان تصنيفه فى فنون من العلوم بمنزلة الاختصار مَنْ كتب فى تلك العلوم ، فينقل من التصانيف من غير أن يكون متقنا لذلك العلم من جهة الشيوخ والبحث،ولهذا نقل عنه أنه قال : أنا مرتب ولست بمصنف[2].

« قال الذهبى فى التاريخ الكبير . لايوصف ابن الجوزى بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة،بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه »[3].

ومما أخذ على الشيخ ابن الجوزى أنه كان يشعر بتميزه وتفرده،فكان لايخفى هذا إنما يذكره للناس والله أعلم بنيته،فمن أقواله فى آخر كتاب القصاص والمذكرين له : مازلت أعظ الناس وأحرضهم على التوبة والتقوى ، فقد تاب على يدى إلى أن جمعت هذا الكتاب أكثر من مائة ألف رجل ، وقد قطعت من شعور الصبيان اللاهية أكثر من عشرة آلاف طائلة ، وأسلم على يدى أكثر من مائة ألف ، قال : ولا يكاد يذكر لى حديث إلا ويمكننى أن أقول صحيح أو حسن أو محال ، ولقد أقدر على

---

(١) انظر/ الذيل على طبقات الحنابلة ٤١١/١ — وما بعدها ، وتذكرة الحفاظ للذهبى ١٣٤٢/٤ هـ ترجمة ابن الجوزى ١٠٩٨

(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٤/١

(٣) طبقات الحفاظ للسيوطى ٤٧٨

أن أرتجل المجلس كله من غير ذكر محفوظ ، وربما قرئت عندى فى المجلس خمس عشرة آية،فآتى على كل أية بخطبة تناسبها فى الحال .. إلى غير ذلك مما كان يذكره عن نفسه . والله يغفر له ، كما أخذ عليه ميله إلى التأويل فى بعض كلامه ، يقول ابن القادسى : ولاريب أن كلامه فى ذلك مضطرب مختلف ، وهو وإن كان مطلعا على الأحاديث والآثار فى هذا الباب ، فلم يكن خبيرا بحل شبه المتكلمين وبيان فسادها[1]

ولقد رد عليه فى ذلك اسحاق بن أحمد العلثى الزاهد القدوة فى رسالة طويلة أرسلها إليه بدأها بقوله : من عبيد الله إسحاق بن أحمد بن غانم العلثى ، إلى عبد الرحمن بن الجوزى حمانا الله وإياه من الاستكبار عن قبول النصائح ، ووفقنا وإياه لاتباع السلف الصالح وبصرنا بالسنة السنية ، ولا حرمنا الاهتداء ما للفظات النبوية ، وأعاذ نا من الابتداع فى الشريعة المحمدية ، فلا حاجة إلى ذلك ، فقد تركنا على بيضاء نقية ، وأكمل الله لنا الدين وأغنانا عن آراء المتنطعين . ففى كتاب الله وسنة رسوله مقنع لكل من رغب أو رهب إلى أن يختم رسالته القيمة المفيدة بقوله : فانتبه يامسكين قبل الممات ، وحَسن القول والعمل ، فقد قرب الأجل ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم[2] . .

٦ ــ وفاتــه :

وبعد حياة حافلة بالعلم والزهد والعبادة والخير،انتقل هذا العالم الجليل إلى جوار ربه فى يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رمضان إلى مقبرة باب حرب ، سنة سبع وتسعين وخمسمائة،وقد قارب التسعين وقد أوصى أن يكتب على قبره :

---

(١) الذيل على طبقات الحنابلة ٤١٤/١

(٢) انظر هذه الرسالة فى الذيل على طبقات الحنابلة ٢٠٥/٢ – ٢١١ تذكرة الحفاظ ١٣٤٧/٤ ، وطبقات الحفاظ للسيوطى ٤٧٨

ياكثير العفو عمن كثر الذنب لديه
جاءك المذنب يرجو الصفح عن جرم يديه
أنا ضيف وجزاء الضيف إحسان إليه

وكان يوم موته مشهودا: اجتمع فيه أهل بغداد ، وغلقت الأسواق ، ونزل في الحفرة والمؤذن يقول الله أكبر ، وحزن الناس عليه حزنا شديدا وبكوا عليه بكاء كثيرا . وقد رثاه الشعراء . ولنذكر من قصيدة القادر العلوى قوله في رثائه :

الدهر عن طمع يغر ويخدع … وزخارف الدنيا الدنية تطمع
وأعنة الآمال يطلقها الرجا … طمعا وأسياف المنية تقطع
والموت آت والحياة مريرة … والناس بعضهمُ لبعض يتبع

إلى أن يقول :

من للفتاوى المشكلات وحلها … من ذا لخرق الشرع يوما يرقع ؟
من للمنابر أن يقوم خطيبها … ولرد مسألة يقول فيسمع ؟
من للجدال إذا الشفاه تقلصت … وتأخر القوم الهزبر المصنع ؟
من للدياجى قائما ديجورها … يتلو الكتاب بمقلة لاتهجع
أجمال دين محمد ، مات التقى … والعلم بعدك ، واستحم المجمع
أقسمت لو كشف الغطا لرأيتم … وفد الملائك حوله تتسرع

.. فرحمه الله رحمة واسعة ..